مع الحبيب ﷺ

معاملة الرسول ﷺ لغير المسلمين

إن الذي ينظر إلي الرسالة المحمدية يجدها قد حفظت كرامة الإنسان، ورفعت قدره، فالناس بنو آدم سواء المسلم وغير المسلم، وقد كرم الله بني آدم جميعا، فقال في قرآنه: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا - الإسراء: 70)، فالجميع لهم الحقوق الإنسانية كبشر أمام ربهم، وإنما يتميز الناس عند ربهم بمدى تقواهم وإيمانهم وحسن أخلاقهم، وكم كان حرص محمد ﷺ على إبراز هذا المعنى الإنساني واضحا في تعاملاته وسلوكياته مع غير المسلمين.

ففي الحديث الثابت قول نبينا محمد ﷺ: «إذا رأيتم الجنازة فقوموا حتى تخلفكم»، فمرت به يوما جنازة، فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: «أليست نفسا».

مع الجار

وكان نبينا محمد ﷺ ربما عاد المرضى من غير المسلمين، فقد زار النبي ﷺ أبا طالب وهو في مرضه، كما عاد الغلام اليهودي لما مرض.

وحرص على القيام بحقوقهم في الجوار فقال: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره»، فشمل حديثه كل جار حتى لو كان من غير المسلمين.

ولم يأت محمد ﷺ ليسلب الحرية من الذين لم يتبعوه، بل قد تعامل معهم بتسامح نادر الحدوث، وكان من أهم هذه المبادئ في تعامل الرسول محمد ﷺ مع الآخر:

لا إكراه في الدين

رغم أن النبي محمدا ﷺ وأصحابه يعتقدون يقينا بأن الحق في اتباع الإسلام، فهو المتمم لرسالات الرسل من قبل، إلا أنهم لم يحاولوا مطلقا إجبار أحد على الدخول في الإسلام رغما عنه، وقد أبان القرآن جليا عن ذلك المعنى بقوله: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي - البقرة: 256).

فلا إرغام لأحد على الدخول في الإسلام حتى لو كان المرغم أبا يريد الخير لأبنائه، ولو كان المرغم ابنا لا يشك في شفقة أبيه عليه.

وحتى رسول الله ﷺ نفسه نهى عن إكراه الناس للدخول في هذا الدين، فقال عز وجل: (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين - يونس: 99).

ولم يكتف الإسلام بمنح الحرية لغير المسلمين في البقاء على دينهم، بل أباح لهم ممارسة شعائرهم، وحافظ على أماكن عباداتهم، فقد كان ينهى النبي محمد ﷺ أصحابه عن التعرض لأصحاب الصوامع ولم يتعرض يوما لدار عبادة لغير المسلمين، وقد فقه هذا المعنى جيدا أصحابه وخلفاؤه من بعده، لذلك كانوا يوصون قادتهم العسكريين بعدم التعرض لدور العبادة، لا بالهدم ولا بالاستيلاء، كما سمح لهم بإقامة حياتهم الاجتماعية وفق مفاهيمهم الخاصة، كالزواج والطلاق ونحوهما.

قيم العدل مع الآخر

أمر نبينا محمد ﷺ بالعدل بين الناس جميعا مسلمهم وغير المسلم منهم، جاء في القرآن (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل - النساء: 58).

وتلقى محمد ﷺ الآيات فقام بها أتم قيام، فالأمر كان بالعدل بين الناس جميعا دون النظر إلى ذواتهم أو أجناسهم أو دينهم أو حسبهم، فالكل سواسية حتى لو كان صاحب الحق ظالما للمسلمين، فلابد من إعطائه حقه، وأمر القرآن الرسول محمدا ﷺ أن يحكم بالعدل إن جاءه أهل الكتاب يحكمونه بينهم (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين - المائدة: 42).

وفي أكثر من 30 حديثا يشدد محمد ﷺ على أصحابه على حق المعاهد، وهو من ارتبط مع المسلمين بمعاهدة، فمنها قوله: «من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما».

ومنها قوله ﷺ: «ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ له شيئا بغير حقه، فأنا حجيجه يوم القيامة»، وقال ﷺ: «من قتل معاهدا في غير كنهه، حرم الله عليه الجنة».

ونهى محمد ﷺ عن تعذيب أي نفس ولم يشترط فيها الإسلام، فقال: «إن الله عز وجل يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا».

لقد حفظ محمد ﷺ وضمن لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي أمنهم على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، فلا يتعرض لها بسوء لا من المسلمين ولا من غيرهم، ماداموا في أرض الإسلام.

معاملة حسنة مع الآخر

لقد تركت تعاليم نبينا محمد ﷺ مبدأ مهما هو أن الأصل في المسلم المعاملة الحسنة مع كل الخلق، فقد قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم - وفي رواية: صالح - الأخلاق»، ومكارم الأخلاق مع الجميع سواء، المسلم وغير المسلم.

إن التعايش والتفاهم والتعاون بين الأمم والخلق أمر تحتاجه الإنسانية حاجة ماسة، وقد أمر محمد ﷺ في رسالته بالرحمة في كل جوانبها، وحسن التعامل بشتى وجوهه، تقول آيات القرآن: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين - الممتحنة: 8)، وفسر علماء الإسلام البر هنا في الآية بقولهم: «هو الرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وكساء عاريهم، ولين القول لهم - على سبيل التلطف لهم والرحمة - لا على سبيل الخوف والذلة، واحتمال أذيتهم في الجوار - مع القدرة على إزالته - لطفا بهم لا خوفا ولا طمعا، والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم، في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم».

وتتأكد المعاملة الحسنة مع الأقارب منهم، وتصل إلى الوجوب مع الوالدين، فتذكر أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا، فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها؟ قال: «نعم صلي أمك».

ولما قدم وفد نجران - وهم من النصارى - على محمد ﷺ بالمدينة، دخلوا عليه مسجده بعد العصر، فكانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم فقال محمد صلى الله عليه وسلم: «دعوهم»، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم.

وتقول أم المؤمنين عائشة: توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير، وذلك في نفقة عياله ﷺ.

هذا، وقد أمر محمد ﷺ المسلمين بحسن رعاية أهل الذمة الذين يعيشون في أكنافهم، فمن احتاج منهم للنفقة تكفلوا به، فالدولة مسؤولة عن الفقراء من المسلمين وأهل الذمة، فتتكفل بالمعيشة الملائمة لهم ولمن يعولونهم، لأنهم رعية للدولة المسلمة، وهي مسؤولة عن كل رعاياها، وقد قال محمد ﷺ: «كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته».

وحينما مر الخليفة الثاني عمر وهو في الشام على قوم من النصارى مجذومين أمر أن يعطوا من الصدقات، وأن يجرى عليهم القوت عند العجز والشيخوخة والفقر.

حرية العمل والكسب

وضع محمد نبينا ﷺ مواثيقه أن لغير المسلمين حرية العمل والكسب في بلاد المسلمين، سواء بالتعاقد مع غيرهم، أو بالعمل لحساب أنفسهم، ومزاولة ما يختارون من المهن الحرة، ومباشرة ما يريدون من ألوان النشاط الاقتصادي، ويستوي حالهم في ذلك مع المسلمين سواء بسواء، ولهم الحق في البيع والشراء وسائر العقود، ولهم الحق فيها وفي كل المعاملات المالية ما اجتنبوا الربا.

وفيما عدا الربا وبيعهم وشراءهم الخمور والخنزير، وما يضر المجتمع مما نهى الإسلام عنه، فلهم الحق فيما تعاملوا به، وإنما نهى عن تعاملهم فيما سبق، للضرر الحاصل منه سواء عليهم، أو على مجتمعهم.

كما يتمتعون بسائر الحريات في التملك وممارسة الصناعات والحرف وغيرها.

شبهات

سحر الرسول ﷺ

تتردد شبهة حول سحر الرسول ﷺ، وعن أثر هذا السحر على ما يقوله النبي ﷺ او يصدر عنه، يفند هذه الشبهة د.خالد السلطان قائلا: ان النبي ﷺ سُحر لأنه بشر، ويريد الله عز وجل ان ينفي عنه صفة الألوهية التي وصف بها غير المسلمين أنبياءهم، لذلك يؤكد الله تعالى ان النبي ﷺ كان يمرض كما نمرض ويتزوج كما نتزوج ويأكل الطعام ويمشي في الأسواق، وما الى ذلك حتى لا نبالغ في وصف نبينا بأنه فيه صفة إلهية.

وفي مسألة السحر بينت الاحاديث انه كان يظن انه فعل الشيء ولم يفعله، وكان السحر في نطاق معين، ولم يرد انه ﷺ كان يخيل إليه انه قال شيئا وهو لم يقله، اي ليس للسحر علاقة بموضوع القرآن الكريم وموضوع البلاغ، فضلا عن ان القرآن الكريم نفسه يقول لنا (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين) فالقرآن يشهد للرسول ﷺ بأنه بلغ، وبأنه على هدى مستقيم (وإنك لتهدي الى صراط مستقيم)، وهذه شهادة من الله عز وجل بأن القرآن الذي يتلوه محمد ﷺ انزل عليه لذا جاء في آخر ما نزل قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا).

وجملة القول ان نبينا محمدا ﷺ لم يسيطر عليه احد او يمل عليه ما ليس في كتاب الله وهو ما يجعلنا نفهم مسألة السحر على حقيقتها.

فاعتبروا يا أولي الأبصار

صاحب البستان

يحكى انه في القرن الأول الهجري كان هناك شاب تقي يطلب العلم متفرغا له ولكنه كان فقيرا وفي يوم من الأيام خرج من بيته من شدة الجوع ولأنه لم يجد ما يأكله فانتهى به الطريق الى واحد من البساتين والتي كانت مملوءة بأشجار التفاح وكان أحد أغصان شجرة منها متدليا في الطريق.. فحدثته نفسه ان يأكل هذه التفاحة ويسد بها رمقه ولا أحد يراه ولن ينقص هذا البستان بسبب تفاحة واحدة.. فقطف تفاحة واحدة وجلس يأكلها حتى ذهب جوعه ولما رجع الى بيته بدأت نفسه تلومه - وهذا هو حال المؤمن دائما - جلس يفكر ويقول كيف أكلت هذه التفاحة وهي مال لمسلم ولم أستأذن منه ولم استسمحه فذهب يبحث عن صاحب البستان حتي وجده فقال له الشاب يا عم بالأمس بلغ بي الجوع مبلغا عظيما وأكلت تفاحة من بستانك دون علمك وها أنا ذا اليوم أستأذنك فيها.

فقال له صاحب البستان.. والله لا أسامحك بل أنا خصمك يوم القيامة عند الله.

بدأ الشاب المؤمن يبكي ويتوسل اليه ان يسامحه وقال له أنا مستعد ان اعمل أي شيء بشرط ان تسامحني وتحللني وبدأ يتوسل الى صاحب البستان وصاحب البستان لا يزداد إلا إصرارا وذهب وتركه والشاب يلحقه ويتوسل اليه حتى دخل بيته وبقي الشاب عند البيت ينتظر خروجه الى صلاة العصر.. فلما خرج صاحب البستان وجد الشاب مازال واقفا ودموعه التي تحدرت على لحيته فزاد وجهه نورا غير نور الطاعة والعلم فقال التي ذكرتها فإن وافقت عليها سامحتك.

صدم الشاب مرة أخرى بهذه المصيبة الثانية. وبدأ يفكر كيف يعيش مع هذه العلة خصوصا انه مازال في مقتبل العمر؟ وكيف تقوم بشؤونه وترعى بيته وتهتم به وهي بهذه العاهات؟

بدأ يحسبها ويقول اصبر عليها في الدنيا ولكن أنجو من ورطة التفاحة!

ثم توجه الى صاحب البستان وقال له يا عم لقد قبلت ابنتك واسأل الله ان يجازيني على نيتي وان يعوضني خيرا مما أصابني.

فقال صاحب البستان.. حسنا يا بني موعدك الخميس القادم عندي في البيت لوليمة زواجك وأنا أتكفل لك بمهرها.

فلما كان يوم الخميس جاء هذا الشاب متثاقل الخطى.. حزين الفؤاد.. منكسر الخاطر.. ليس كأي زوج ذاهب الى يوم عرسه فلما طرق الباب فتح له أبوه وأدخله البيت وبعد ان تجاذبا أطراف الحديث قال له يا بني.. تفضل بالدخول على زوجتك وبارك الله لكما وعليكما وجمع بينكما على خير وأخذه بيده وذهب به الى الغرفة التي تجلس فيها ابنته فلما فتح الباب ورآها.. فإذا فتاة بيضاء أجمل من القمر قد انسدل شعرها كالحرير على كتفيها فقامت ومشت إليه فإذا هي ممشوقة القوام وسلمت عليه وقالت السلام عليك يا زوجي.. أما صاحبنا فهو قد وقف في مكانه يتأملها وكأنه أمام حورية من حوريات الجنة نزلت الى الأرض وهو لا يصدق ما يرى ولا يعلم ما الذي حدث ولماذا قال أبوها ذلك الكلام.. ففهمت ما يدور في باله فذهبت اليه وصافحته وقبلت يده وقالت انني عمياء من النظر الى الحرام وبكماء من الكلام في الحرام وصماء من الاستماع الى الحرام ولا تخطو رجلاي خطوة الى الحرام.. وانني وحيدة أبي ومنذ عدة سنوات وأبي يبحث لي عن زوج صالح فلما أتيته تستأذنه في تفاحة وتبكي من أجلها قال أبي إن من يخاف من أكل تفاحة لا تحل له حري به ان يخاف الله في ابنتي فهنيئا لي بك زوجا وهنيئا لأبي بنسبك.

وبعد عام أنجبت هذه الفتاة من هذا الشاب غلاما كان من أعلام هذه الأمة.

أتدرون من ذلك الغلام؟

انه الامام العلم الزاهد عبدالله بن المبارك.

سلوكيات مفتقدة

التسامح

حرص الإسلام على التسامح وألزم المسلمين بتجسيد هذه القيمة العظيمة في كل سلوكياتهم ومعاملاتهم، ومن يقرأ السنة النبوية ويقف على سلوكيات رسول الله ﷺ واخلاقياته في التعامل مع المسلمين وغير المسلمين سينهل من حجم ومساحة التسامح النبوي وينبهر من حرص رسول الله ﷺ على ان يجسد هذه القيمة في كل اقواله وافعاله ومواقفه التي كان يعلم من خلالها أمته كيف يكون المسلم قويا صلبا ومتسامحا رقيقا، رحيما في الوقت نفسه وكان رسول الله ﷺ متسامحا حتى مع من اعرضوا عنه ووقفوا له بالمرصاد، فقد ربانا رسول الله ﷺ على خلق التسامح وغرس فينا كل معنى الرحمة وعلمنا ان من اوضح السمات التي يستدل بها على شخصية المسلم سماحته في علاقاته ومعاملاته فهو هادئ في حديثه بعيد عن كل ما يثير النفس او يستفز المشاعر، فطبيعته تنأى عن الحدة واللجاجة والمراء المحقوق والجدل المتعصب الذي يثير الفتن ويوغر الصدور، فالتسامح من صميم العقيدة، كما ان للمساحة اثرها الطيب في تحسين العلاقات الاجتماعية وانهاء الخلافات والنزعات الشخصية.

فالبسماحة واليسر ولين الجانب وتراحم القلوب وتعاونها وتواصلها قامت خير امة اشرقت طلائعها الأولى في دين الناس على يدي رسول الله ﷺ ومضت كتائبها الفاتحة الظاهرة، مسلحة بالايمان واليقين، مشرقة بروح التسامح مطلة على جوانب الارض بهذه التعاليم «السامية» فاذا بالناس يهرعون الى الاسلام من كل حدب وصوب ويدخلون دين الله اخواناً. لقد حرص الاسلام على التسامح والزامه للمسلمين بتجسيد هذه القيمة العظيمة في كل سلوكياتهم ومعاملاتهم، لا يعني ابدا الضعف والاستسلام والتفريط في الحقوق.

من أعلام التابعين

عروة بن الزبير

نسبه ونشأته

هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي أبو عبدالله، أحد الفقهاء السبعة في المدينة. كان عالما كريما، أبوه الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة وحواري رسول الله ﷺ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق الملقبة بذات النطاقين، وخالته عائشة أم المؤمنين، وجدته لأبيه عمة النبي ﷺ صفية بنت عبدالمطلب، وجده لأمه أبوبكر الصديق صاحب رسول الله ﷺ وخليفته، أخوه عبدالله بن الزبير. ولد في آخر خلافة عمر بن الخطاب، وقيل في بداية خلافة عثمان، ويعد من الطبقة الثانية من أهل المدينة من التابعين، عاش بالمدينة وانتقل إلى البصرة ثم إلى مصر وعاد إلى المدينة فتوفي فيها.

روى الحديث عن كثير من الصحابة وتفقه على يد السيدة عائشة أم المؤمنين، وكان ثقة كثير الحديث فقيها عاليا مؤمنا ثبتا وحدث عنه ابنه هشام، وروى عنه الزهري وأبوالزناد عبدالله بن ذكوان القرشي وغيرهم من علماء المدينة.

من أهم ملامح شخصيته تفانيه في العبادة

خليق برجل تربى بين يدي الزبير بن العوام، وأسماء بنت أبي بكر، وتفقه على يد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأخذ الحديث عن أصحاب رسول الله ﷺ أن يكون مثالا حيا في عبادته وزهده وورعه وأخلاقه.

وكان عروة كذلك، فقد اثر عنه أنه كان يصوم الدهر، وأنه كان يقرأ ربع الختمة من المصحف، ويقوم الليل فما تركه إلا ليلة قطعت رجله، وقد أصيبت بالأكلة فنشرها له الطبيب فصبر على نشرها وهو يقرأ القرآن.

حبه للعلم

وكان رحمه الله مؤثرا للعلم، ورضا الله على كل شيء آخر من أمور الدنيا، ولقد اجتمع عبدالله بن الزبير وأخوه عروة بن الزبير، وأخوهما مصعب بن الزبير، وعبد الملك بن مروان، فما لبث أحدهم أن قال: ليتمن كل منا ما يحب، فانطلقت أخيلتهم ترحل في عالم الغيب الرحل، ومضت أحلامهم تطوف في رياض الأماني الخضر، ثم قال عبدالله بن الزبير: أمنيتي أن أملك الحجاز، وأن أنال الخلافة، وقال أخوه مصعب: أما أنا فأتمنى أن أملك العراقين، وألا ينازعني فيهما أي منازع. وقال عبدالملك بن مروان: إذا كنتما تقنعان بذلك فأنا لا أقنع إلا أن أملك الأرض كلها! وأن أنال الخلافة بعد معاوية بن سفيان، من بقي؟ عروة بن الزبير وسكت عروة ولم يقل شيئا، فالتفتوا إليه، وقالوا: وأنت ماذا تتمنى يا عروة؟ قال: بارك الله لكم فيما تمنيتم من أمر دنياكم، أما أنا فأتمنى أن أكون عالما عاملا يأخذ الناس عني كتاب ربهم وسنة نبيهم وأحكام دينهم، وأن أفوز في الآخرة برضا الله عز وجل وأن أحظى بجنته.

ويذكر عنه أنه أول من كتب السيرة، إذ جمعه في كتاب أسماه «مغازي الرسول».. ولما سئل عراك بن مالك عن أفقه أهل المدينة قال: أما أعلمهم بقضايا رسول الله ﷺ وقضايا أبوبكر عمر وعثمان وأفقههم فقها وأعلمهم من أمر الناس فسعيد بن المسيب أما أغزرهم حديثا فعروة بن الزبير.

سخاؤه

يعرف عن عروة بن الزبير أنه من أسخياء القوم، بل كان اسخاهم يدا، سمحا فيما يعطيه للناس، ومما أثر عن جوده أنه كان له بستان من أعظم بساتين المدينة، عذب المياه، ظليل الأشجار، باسق النخيل.. وكان يسور بستانه طوال العام لحماية أشجاره من أذى الماشية وعبث الصبية، حتى إذا آن أوان الرطب وأينعت الثمار وطابت واشتهتها الأنفس.. كسر حائط بستانه في أكثر من جهة ليمكن الناس من دخوله.. فكانوا يدخلونه، ويأكلون من ثمره ما لذ لهم الأكل، ويحملون منه ما طاب لهم الحمل وكان كلما دخل بستانه هذا ردد قوله عز وجل: (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله).

وكان يعد الصدقة هدية تهدى لله عز وجل، فيقول لأبنائه: ليهدين أحدكم إلى ربكم ما يستحيي أن يهديه إلى عزيز قومه فإن الله تعالى أعز الأعزاء، وأكرم الكرماء، وأحق من يختار له.

صبره

كان من الصابرين في البأساء والضراء، ولقد اجتمعت عليه مصائب كثيرة فما زاده إلا شكرا لله، وصبرا على ما ابتلاه الله به. يقول سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة: خرج عروة بن الزبير الى الوليد بن عبد الملك فخرجت برجله أكلة فقطعها، وسقط ابن له عن ظهر بيت فوقع تحت أرجل الدواب فقطعته فأتاه رجل يعزيه فقال بأي شيء تعزيني؟ ولم يدر بابنه فقال له الرجل ابنك يحيى قطعته الدواب قال: وايم الله لئن كنت أخذت لقد اعطيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت وقال: لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، وروي أنه قال: اللهم كانوا سبعة فأخذت واحدا وابقيت ستة، وكن أربعا (يقصد أطرافه الأربع) فأخذت واحدة وابقيت ثلاثا، وايمنك لئن كنت أخذت لقد أبقيت ولئن كنت ابتليت لقد اعفيت.

نصحه لأولاده

ولحرصه على العلم ومعرفته بما في العلم من فوائد جمة وما في الجهل من عيوب ومساوئ، فكان يوصي أبناءه ويحضهم على طلب العلم قائلا لهم: يا بني تعلموا العلم، وابدلوا له حقه، فإنكم إن تكونوا صغار قوم فعسى أن يجعلكم الله بالعلم كبراءهم، ثم يقول: واسوءتاه، هل في الدنيا أقبح من شيخ جاهل؟!

ومن موقف تعلمه من سيدنا حكيم بن حزام حين قتل أبوه الزبير بن العوام بعد واقعة الجمل، وسمع ما سمع من الناس ما يكرهه ويؤذيه، فذهب الى حكيم بن حزام ليعرف مثالب قريش فيقتص منهم ويؤذيهم كما آذوه، وكان قد دخل عليه هو وأخوه المنذر بن الزبير، وعندما ذكرا له ما أرادا، أوسعهما ضربا ثم قال: أعندي تلتمسان معايب قريش ايتدعا في قومكما يكف عنكما مما تكرهان فانتفعنا بأدبه، لذا كان يوصي أبناءه بلين الجانب، وطيب الكلام، وبشر الوجه فيقول: يا بني، مكتوب في الحكمة، لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك طلقا، تكن أحب الى الناس ممن يبذل لهم العطاء.

وكان ناصحا لله ولرسوله.آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، فإذا رأى الناس يجنحون إلى الترف، ويستمرئون النعيم يذكرهم بما كان عليه رسول الله ﷺ من شظف العيش، وخشونة الحياة.

وكان يقول: رب كلمة ذل احتملتها أورثتني عزا طويلا.

ويقول أيضا: إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة فاعلم أن لها عنده أخوات، وإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن لها عنده اخوات، فإن الحسنة تدل على أختها، وان السيئة تدل على أختها.

وكان الناس يذكرونه بالخير دائما فيقول جرير بن عبدالحميد عن هشام بن عروة: ما سمعت أحدا من أهل الأهواء يذكر عروة إلا بخير، وظل يعرف بين الناس بعلمه، وحسن أخلاقه وسخائه حتى وافته المنية سنة 94 هـ عن عمر يناهز السبعين عاما.